﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1 - 5]

❁ مُناسبةُ السّورةِ لما قبلَها:

تفصيلُ الخَلْقِ الحسَن وبيانُ الانحطاطِ والوَهَن

هذه السّورة متّصلة بسورة التّين بأكثر من جانب، وعلى رأسها التّقرير بأنّ الله تعالى خلق الإنسان على أحسن خِلقة وأكرمه بالنّعم، وطلب منه الاستقامة على الدّين، فلمّا ذكرَ المولى تعالى في سورةِ (التّين) أنَّ الله تعالى قد خلقَ الإنسانَ في أحسنِ تقويم، ومنحَهُ فطرةً نقيّة وعقلًا راشِدًا، لكنَّه لم يعمَلْ بمقتضَى علمِه، ولم يَنتفِعْ بفِطرتِه، ولم يُفكِّر في خَلْقِهِ وتكوينِه، فانقلبَ على الآياتِ والرُّسلِ والأنبياءِ بالتَّكذيبِ، حتَّى صار في أسفلِ سافلين؛ بيَّنَ في هذه السّورة تفصيلَ ما أجملَ من الخَلْقِ في أحسنِ تقويم؛ إذ خلقَهُ من علقةٍ، ثمَّ علّمَه ما لم يكن يعلمُ بما منحَهُ من استعدادٍ فطريٍّ للتَّعلُّمِ والصّناعة والتَّحضُّر، لكنَّه طغَى وعن الآياتِ استغنى، حتَّى انقلبَ إلى أسفلِ سافلينَ[1].

وهناك خُتمت السّورة بقوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التّين: 8]، وهنا جاءت هذه السّورة لتُبيّن جوانبَ هذه الحِكمة من خلال بيان أصل خلقة الإنسان وما أكرمه الله تعالى به، وما مصيره بعد الموت.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: (قري) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَمْعٍ واجتماع، قالوا: ومنهُ القرآنُ، كأنّهُ سُمّيَ بذلك؛ لجمْعِهِ ما فيه من الأحكامِ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1964.

والقصَص وغيرِ ذلك[1]، وقرأتُ أمَّ الكتاب وبأمِّ الكتاب، يتعدّى بنفسِهِ وبالباء، قراءةً وقُرآنًا، ثمّ استُعمِلَ (القُرآنُ) اسمًا، والفاعلُ قارِئٌ، وقَرَأةٌ وقرُّاء وقارِئونَ، وقرأتُ على زيدٍ السّلامَ أقرؤُهُ عليهِ قراءةً[2]، والقراءةُ ضمُّ الحروفِ والكلماتِ بعضِها إلى بعضٍ في التَّرتيل، وليس يقالُ لكلّ جمعٍ، ولا يقالُ: قرأتُ القومَ إذا جمعتَهم، والقرآنُ في الأصلِ مصدرٌ[3].

2) ﴿عَلَقٍ﴾: (علق) أصْلٌ كَبيرٌ صَحيحٌ يَرْجِعُ إلَى مَعْنًى واحِدٍ، وهو أنْ يُناطَ الشَّيْءُ بالشَّيْءِ العالي. ويُقالُ إنَّ العَلوقَ: ما تَعْلُقُهُ السّائِمَةُ مِنَ الشَّجَرِ بأفْواهِها مِن ورَقٍ أوْ ثَمَرٍ[4]، والعَلَقُ: الدّم الجامدُ قبلَ أنْ يَيْبَسَ، والقِطعةُ عَلَقَةٌ[5]، والعَلَقة: الدَّمُ الجامِدُ الغليظُ، ومِنْه قيل لهَذِهِ الدّابَّةِ الَّتي تكون في الماءِ عَلَقة؛ لأنّها حَمْراءُ كالدَّم، وكلُّ دمٍ غليظٍ عَلَقٌ، ويُقالُ: عَلِقَ فلانٌ فُلانةَ، إذا أحبَّها؛ وقد عُلِّقها تَعْليقًا، وهوَ معلَّق القلبِ بها، والعَلاقة: الهَوَى اللّازمُ للقلب[6]. والمرادُ به في الآية: قِطَعُ اللّحم المُتعلِّقة بأرحامِ النِّساء، مُفردُهُ علقةٌ، وهي مرحلةٌ من مراحلِ تكوُّنِ الإنسانِ في بَطْنِ الأمِّ.

3) ﴿بِٱلْقَلَمِ﴾: (قلم) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تسويةِ شيءٍ عندَ بريهِ وإصلاحِهِ، ومن هذا البابِ سُمّيَ القلَمُ قلَمًا؛ لأنّه يُقلَمُ منه[7]، وقلَمْتُهُ قَلْمًا (من بابِ ضرَبَ): قطعتُهُ، وقلمتُ الظُّفُرَ: أخذتُ ما طالَ منه، وقلّمتُ مبالغةٌ وتكثيرٌ، والقَلَمُ: الّذي يُكتبُ به، فعَلٌ بمعنى مَفعول كالحَفْر، ولا يُسمّى قَلَمًا إلّا بعدَ البري، وقبلَهُ هو قَصَبةٌ[8]. فالقَلَمُ: هو البَريُ والتَّهيئةُ والعمَلُ حتّى يكونَ وسيلةً في ضبْطِ أمرٍ وإحداثِهِ ونَظْمِهِ. ماديًّا أوْ معنويًّا[9]. والمرادُ به في الآية: آلةُ الكتابة المعروفةِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قرأ).
(2) الفيّومي، المصباح المنير: (قرأ).
(3) الرّاغب، المفردات: (قرأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علق).
(5) الخليل، العين: (علق).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (علق).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلم).
(8) الفيّوميّ، المصباح المنير: (قلم).
(9) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 9/ 294.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جَـحْـدُ الخالـقِ والمُـنـعـم بـالـطُّـغـيـانِ والاستكبارِ

والمعنى: اقرأْ يا محمَّد ﷺ مُفتتِحًا باسمِ ربِّك ومُستعينًا به ومُتبرِّكًا بذِكرِه؛ فهو الَّذي خلقَ كلَّ شيءٍ، وخلقَ الإنسانَ من علقٍ، ومَن كانَ خالقًا لكلِّ شيءٍ وللإنسانِ بالذّات المأمورِ بالقراءةِ فإنَّ هذا الرَّبَّ قادرٌ على كلِّ شيءٍ، وقادرٌ على تعليمِك حتَّى تكون قارئًا باسمِ ربّك، مُبلِّغًا ما تحفظُهُ منَ الوحي، واقرأ فرَبُّك الأكرمُ المتميِّزُ عن الأرباب الباطلةِ بكرمِه وإحسانِه، ومن جملةِ إحسانِه أنَّه علَّم الإنسانَ الكتابةَ بالقلم، وعلّم الإنسانَ عُلومًا لم يكُنْ يعلمُها، وبعد كلِّ تلك النِّعَمِ العظيمة فإنَّ الإنسانَ المخلوقَ المُعلَّم يَطغَى ويتكبّرُ، ويتجاوَزُ الحُدودَ في التَّمرُّدِ والكُفران.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ الابتداء بالأمر بالقراءة:

مِـن أسـبـابِ الـتَّـحـضُّـرِ والـزّيـادة تعلُّمُ الكتابةِ والقِراءة

ابتدأ النَّظمُ الكريم السّورةَ بالأمرِ للنَّبيِّ ﷺ بالقراءةِ في قولِه تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ للدّلالةِ على أهمّيَّةِ القراءةِ في نشرِ الدَّعوةِ الإسلاميَّة، وضرورةِ الأخذِ بأسبابِ العِلْم والمدنيَّة الّتي أهمُّها القراءةُ والكتابة، كما أنَّ الافتتاحَ للسّورةِ بها: "إيذانٌ بأنَّ رَسولَ اللّه ﷺ سَيَكونُ قارئًا، أي: تاليًا كِتابًا بَعْدَ أن لَمْ يَكُنْ قَدْ تَلا كِتابًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ﴾ [العنكبوت: 48]، أي: مِنْ قَبْلِ نُزولِ القُرْآنِ"[1].

براعةُ الاستهلالِ في السّورة:

مطلَعُ الكتابِ المُنزَّل مُتوافِقٌ معَ مُرادِ النَّظمِ المُرتَّل

تتجلّى المناسبة والتَّوافق من كون أوّل فعلٍ ملفوظ به في تنزيل القرآن الكريم هو الأمر بالقراءة، قال تعالى فيها: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ ليكون ذلك الكتابُ المنزّلُ قُرآنًا يُتلى آناءَ اللَّيل وأطرافَ النَّهار، وبه يُسمّى[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 30/ 435.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 215، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 148.

دلالةُ فعلِ (القراءةِ) مادّةً وصيغةً:

القراءةُ للكتابِ المُبين بالتَّأهُّبِ لسَماعِ كلامِ الأمين

عبّرَ النَّظمُ الكريم بفعلِ (القراءةِ) أمرًا في قولِه تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ للدّلالة بمادّتِه على النُّطق بكلامٍ مكتوبٍ أوْ مَحفوظٍ عن ظهرِ قلبٍ لإعادتِه، وبصيغتِه على طلبِ القراءةِ في الحالِ أوْ في المُستقبلِ القريبِ منه، ولمّا لم يكُنْ للنَّبيِّ ﷺ متلوّاتٌ يحفظها أو صحيفة يَقرأُ منها، انحصرَ الأمرُ بالقراءةِ لقراءةِ ما سيُملى عليه، أو ما يوحى بهِ إليهِ فورًا، فيكونُ الأمر بالقراءةِ مُستعمَلًا في حقيقتِه - كما يرى ابن عاشور - وهو طلب القراءةِ للمسموعِ المتلوِّ عليه من خلالِ الاستعدادِ والإصغاءِ لما يوحَى إليه، قال ابنُ عاشور: "وعَلَى هَذا الوَجْهِ يَكونُ قَوْلُ المَلَكِ لَهُ في المَرّاتِ الثَّلاثِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؛ إعادَةً لِلَّفْظِ المُنَزَّلِ مِنَ اللهِ إعادَةَ تَكْريرٍ؛ لِلِاسْتِئْناسِ بالقِراءَةِ الَّتي لَمْ يَتَعَلَّمْها مِنْ قَبْلُ"[1].

ويجوز أن يُستعمل طلب القراءة هنا من باب المجاز للتّأهب والاستعداد لما يُتلى عليه ولتبليغه للمتلوّ؛ لما قالَه القونويّ: "أو المَعْنَى: وجِّهْ ذِهنَكَ إلَى قراءة القُرآن فإنّي أعلّمُك، فيكونُ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ مَجازًا عن هذا؛ لكونه لازمًا له"[2].

سرُّ تقديمِ فعلِ القِراءة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾:

أثرُ المَقامِ في تقديمِ أجزاءِ الكَلام

قدّمَ النَّظمُ الكريم فعلَ القراءةِ في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ للدّلالة على الاعتناءِ بالقراءةِ في المقامِ، وأهمّيَّةِ إصغائِه لما يوحى إليه وقراءتِه له، حتَّى يقرأَهُ ويَتلوَهُ على قومِه، إذ ليسَ المقامُ مقامَ الرَّدِّ على المشركينَ الَّذين كانوا يَبدؤونَ كلامَهم بأسماءِ آلهتِهم، فرَدّ عليهم القرآنُ بتقديمِ اسمِ اللهِ عندَ كلِّ قراءةٍ للقُرآن بقوله: (بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم)، وأمّا هنا فكانتِ العنايةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 346.

بالقراءةِ؛ لأنَّها أهمُّ وأوْلى، وهذا التَّوجيهُ مبنيٌّ على تعلُّقِ الجارِّ والمَجرورِ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الأولى.

دلالةُ ضميرِ المُخاطَب في ﴿ٱقۡرَأۡ﴾:

دلالـةُ العُمـوم مُـنـبـعـثـةٌ من مقصَدِ المَنظوم

عبّرَ النَّظمُ الكريمُ بفعلِ القراءةِ أمرًا للدّالّ على المُخاطبِ الفاعلِ المضمَر، وتقديرُهُ: (أنتَ) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ للدّلالة به على النَّبيِّ ﷺ بالأصالةِ، وإرادةِ كلِّ المُسلمين أنْ يَسمعوا لكلامِ اللّه مِن رسولِهِ الأمين، ويقوموا بقراءتِهِ جيلًا بعدَ جيل، فالضّميرُ المُخاطَبُ قُصِدَ به العمومُ، أي: كلُّ مَن تتأتَّى منه القراءةُ بعدَ السَّماع أنْ يقرأ باسمِ الرَّبِّ تعالى. قال المُظهريّ: "أمرٌ بإيجادِ القراءة مطلقًا، وهو لا يختصُّ بمفردٍ دونَ مفرد"[1].

نُكْتَةُ حذفِ مَفعولِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾:

حـذفُ المـفـعـولِ الـــــدّالِّ عـلـى الـعُـمـوم مـدحٌ باشتمالِ القُرآن عـــلـى ســائـــرِ العُلوم

حذفَ النَّظمُ الكريم مفعولَ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؛ إمّا لأنّ الفعلَ مُنزّلٌ منزلةَ اللّازم، وأنَّ المقصودَ بالاهتمامِ إيجادُ القراءة، والتّركيزُ على فعلها وضبطِها، وإمّا أنَّ الفعلَ مُتعدٍّ، ودلَّ المقامُ على أنَّ ذلك المقروءَ هو القرآنُ[2]، ولم يُصرِّح بما دلّ عليه المقامُ لما فيه من مدحٍ عظيمٍ للقرآن؛ حتَّى إنَّه بقراءتِهِ له يقرأُ كلَّ ضروبِ العُلوم؛ لما احتواه من أصولِ الأفكارِ وحقائقِ الأشياءِ الهاديةِ للإنسانِ لكلِّ عملٍ فيه خيرٌ ونفعٌ، فيكون صادقًا بإرادةِ العُموم، وكأنَّه قالَ له: اقرأ الكونَ من خلال قراءةِ هذا القرآنِ، وقدّرَ البيضاويّ المفعولَ بـ(القرآن)، وعلّقَ عليه القونويّ بقوله: "إشارَةٌ إلَى أنَّ المَفعولَ مَحذوفٌ؛ سمَّى البعضَ قرآنًا؛ لأنّه في الأصل اسمُ الجنسِ، يقَعُ عَلَى الكلِّ والبعضِ، وصارَ علَمًا بالغلبة، فهو حَقيقَةٌ باعْتبارِ أصلِهِ، مجازٌ بالنَّظرِ إلَى العَلَميَّة، وليس مُنزلًا

(1) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 302.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.

منزلةَ اللّازم؛ إذ المقامُ يقتضي الأمرَ بقراءةِ القُرْآن؛ لأنَّ السّورَة أوّلُ ما نزلَ"[1].

سرُّ إيقاع (الجارّ والمَجرور) بينَ أمرَيِ القراءةِ:

الاستئنافُ والتّتميم لمَزيدٍ منَ الاهتمامِ أوِ التّبيين

أوقعَ النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ بينَ أمرين بالقراءةِ في قولِه تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، و﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾؛ ويحتملُ إمّا أن يكونَ مُتعلِّقًا بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ الأولى، فهو مِن تتمّةِ الكلامِ والبيانِ لمُتعلّقاتِه، بأنْ تكونَ القراءةُ مُلتبِسةً ومُصاحِبةً لاسمِ الرَّبِّ الخالق، فالجارُّ والمجرور في قولِه: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: "متعلّقٌ بمحذوفٍ حالٌ من فاعلِ ﴿ٱقْرَأْ﴾، ومفعولُ ﴿ٱقْرَأْ﴾ محذوفٌ، تقديره: (اقرأ يا محمّد ما يوحى إليك، أوْ ما نَزَلَ عليك، أوْ ما أُمرتَ بقراءتِه حالَ كونك مُتلبِّسًا باسم ربّك، أوْ مُستعينًا باسم ربّك، أوْ مُفتتحًا باسم ربّك، أوْ متبرِّكًا باسم ربّك، أوْ مبتدئًا باسمِ ربّك؛ ليتحقّقَ مقارنتُهُ لجميعِ أجزاء المقروءِ"[2].

أوْ أنَّ جملةَ ﴿ٱقْرَأْ﴾ انتهَتْ، ثمَّ استأنفَ النَّظمُ استئنافًا بيانيًّا بالجارِّ والمجرورِ؛ لبيانِ المقروءِ الَّذي دلَّ عليه الأمرُ بالقراءةِ اهتمامًا بهِ.

ويتبيّنُ أنَّ المولى تعالى لمّا أمرَ النَّبيَّ في الغارِ بالقراءة، وهو لا يَعرفُ القراءة، ولم يحفَظْ شيئًا حتّى يقرأَهُ، نشأ سؤالٌ في نفسِ المُصطفى الكريم ﷺ ليسَ عن تحديدِ المَقروءِ، بل عن مصدرِ الآمرِ بالقراءةِ والجهةِ الّتي تطلبُ منه القراءةَ، طالبًا تعيينَهُ ومعرفتَهُ، فجاءَ الاستئنافُ البيانيُّ مُقدِّمًا الجارَّ والمجرورَ على متعلّقِه، وهو ﴿ٱقْرَأْ﴾ الثّانية، قائلًا: (باسم ربِّك الخالقِ للإنسانِ من علَقٍ اقرأ)، ولذا قال الرّازيُّ: "لِمَ ذَكَرَ عَقيبَ قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِى

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 345.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 150، مجير الدين الحنبلي، فتح الرحمن: 7/ 399.

خَلَقَ﴾؟ الجَوابُ: كَأنَّ العَبْدَ يَقولُ: ما الدَّليلُ عَلَى أنَّكَ رَبّي؟ فيَقولُ: لِأنَّكَ كُنْتَ بذاتِكَ وصِفاتِكَ مَعْدومًا ثُمَّ صِرْتَ مَوْجودًا؛ فلا بُدَّ لَكَ في ذاتِكَ وصِفاتِكَ مِنْ خالِقٍ، وهَذا الخَلْقُ والإيجادُ تَرْبيَةٌ، فدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أنّي رَبُّكَ، وأنْتَ مَربوبي"[1].

دلالةُ (الباءِ) والغرضُ منها:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ(الباءِ) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ للدّلالة بها إمّا على (الاستعانة)، سواءٌ تعلّقتْ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الأولى، أوْ بفعلٍ محذوفٍ تقديرُهُ: (ابتدئ)، ودخلتِ "الباءُ لتدلَّ على المُلازمة والتَّكرير"[2]، "وفي الكواشيّ (الباءُ) دخلتْ لتدلَّ على المُلازمة والتّكرير، كـ(أخذتُ بالخطام)، ولو قلتَ: (أخذتُ الخطامَ) لم يدلَّ على التَّكريرِ والدَّوام، أوْ دخلتْ لتدلَّ على البدايةِ باسمِهِ تعالى ومحلُّها حالٌ، أي: اقرأْ مُبتدِئًا باسمِ ربِّك"[3]، أوْ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الثّانية، "وَمَعْنَى الاسْتِعانَةِ (بِاسْمِ اللّه) ذِكْرُ اسْمِهِ عِنْدَ هَذِهِ القِراءَةِ".

القراءة تكون بمصاحبة أسماء الله تعالى وصفاته

أوْ على (المُصاحَبة)، سواءٌ تعلّقتْ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الأولى أوِ الثّانية، ومعناها: "مُصاحَبَةُ الفَهْمِ والمُلاحَظَةِ لِجَلالِهِ، ويَكونُ هَذا إثْباتًا لِوَحْدانيَّةِ اللّه بالإلَهيَّةِ، وإبْطالًا لِلنِّداءِ باسْمِ الأصْنامِ الَّذي كانَ يَفْعَلُهُ المُشْرِكونَ، يَقولونَ: باسْمِ اللّاتِ، باسْمِ العُزَّى، فَهَذا أوَّلُ ما جاءَ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ، قَدِ افْتُتِحَ بِهِ أوَّلُ الوَحْيِ".

أو بمعنى (على)، أي: "اقْرَأْ عَلَى اسْمِ رَبِّكَ، أي: عَلَى إذْنِهِ، أي: إنَّ المَلَكَ جاءَكَ عَلَى اسْمِ رَبِّكَ، أي: مُرْسَلًا مِنْ رَبِّكَ"[4].

وذهبَ النّيسابوريُّ إلى أنَّ "(الباءَ) زائدةٌ، ومَعناه: اقرأْ اسمَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 216.
(2) مجير الدين الحنبلي، فتح الرحمن: 7/ 399.
(3) الطّيبي، فتوح الغيب: 16/ 510، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 150.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.

ربّك"[1]، وضعّفَه الرّازي بقوله: "وَهَذا القَوْلُ ضَعيفٌ لِوُجوهٍ؛ أحَدُها: أنَّهُ لَوْ كانَ مَعْناهُ (اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) ما حَسُنَ مِنْهُ أنْ يَقولَ: (ما أنا بقارِئٍ)، أي: لا أذْكُرُ اسْمَ رَبّي، وثانيها: أنَّ هَذا الأمْرَ لا يَليقُ بالرَّسولِ، لِأنَّهُ ما كانَ لَهُ شُغْلٌ سِوَى ذِكْرِ اللّه، فكَيْفَ يَأْمُرُهُ بأنْ يَشْتَغِلَ بما كانَ مَشْغولًا بِهِ أبَدًا، وثالِثُها: أنَّ فيهِ تَضْييعَ (الباءِ) مِنْ غَيْرِ فائِدَةٍ"[2].

أثرُ تحديدِ متعلَّق الجارِّ والمجرورِ ﴿بِٱسْمِ﴾:

الاهتمامُ والانحصار مَعنيانِ يَليقان بالمُحيطِ بالأبصار

لمّا كانتِ (الباءُ) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ دالّةً على الاستعانةِ أوِ المُصاحبةِ؛ وتحتملُ أنْ تكونَ متعلِّقةً بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ الّتي قبلَها أوْ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ الّتي بعدَها؛ كانَ تعلُّقُها بما قبلَها تعلُّقًا مُؤخّرًا عن عاملِها للبيانِ والإيضاح، لكنَّها إنْ تعلّقتْ بما بعدَها كانت مُتقدِّمةً عليه، فإنْ كانت للاستعانةِ فإنَّ التَّقدُّمَ دالٌّ على الاهتمامِ؛ لجوازِ الاستعانةِ في الأعمالِ بأمورٍ مُتعدِّدة، وإنْ كانَتْ للمصاحبة بمعنى المُلاحظة للذّاتِ الجليلةِ؛ لاستحالةِ المُصاحَبةِ الحقيقيَّة؛ فإنَّ التَّقديمَ للاختصاصِ والانحصار[3].

دلالةُ ذكرِ المُضافِ (الاسم):

ملاحظةُ ذاتِ الجليلِ بذِكرِ الاسمِ النَّبيل

عبّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ (اسم) مُضافًا إلى (الرَّبّ) في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ الاستعانةَ في الأعمال كالقراءةِ وغيرها تكونُ بذِكرِ اسمِ الرَّبِّ الكريم لا ذاتِهِ الجليلة؛ إذ من غير اللّائق الاستعانةُ بالذّاتِ صَوْنًا، إنّما الاستعانةُ تكون بذِكرِ الذّات وتكونُ بذِكرِ الاسمِ الكريمِ الدّالِّ عليها، كما أنَّه لا مُصاحَبةَ للذّات لتنزُّهِه تعالى عن مُصاحَبة الحوادثِ له، بل تكون المُصاحبة

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 167.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 215.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.

بملاحظةِ الذّاتِ عندَ ذِكرِ الاسمِ المُبارك في القراءةِ، وأمّا على جعلِ (الباءِ) بمعنى (على) فإنَّ الاسم بمعنى (الإذن)؛ فيكونُ ذِكرُهُ مُتعيِّنًا لا مُقحَمًا[1].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (الرَّبِّ) بدلَ الاسمِ العلَم (الله):

العِنايةُ الرّبّانيَّة بالحَضرةِ المُصطَفَويَّة

عبّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ الوَصْف (الرَّبِّ) بدلًا من لفظ العلَم (اللّه) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ لما يُشعِرُ به الرَّبُّ من العظَمةِ والجَلالِ، معَ التَّربيةِ والتَّبليغِ للشَّيءِ من النُّقصانِ إلى الكمالِ شَيئًا فشَيئًا، فيكونُ مُشيرًا إلى عنايةٍ ربّانيّةٍ بهذا النَّبيِّ الكريم، حتَّى وصلَ إلى مقامِ النُّبوَّةِ والرِّسالة، واستحقَّ الخطابَ والإكرام.

قال ابنُ عاشور: "وعُدِلَ عَنِ اسْمِ اللّه العَلَم إلَى صِفَةِ رَبِّكَ لِما يُؤْذِنُ وصْفُ الرَّبِّ مِنَ الرَّأْفَةِ بالمَرْبوبِ والعِنايَةِ بهِ[2]، كما اشتملَ الوصفُ على تعليلٍ للأمرِ بالقراءةِ باسمِهِ؛ إذ يَلزمُ من كونِهِ ربًّا حقًّا وصدقًا أنْ يَقرأَ مُستعينًا ومُصاحبًا لاسمِهِ الكريم.

وعلَّل الرّازيُّ العدولَ بقولِهِ: "وهوَ أنَّ (الرَّبَّ) مِنْ صفاتِ الفِعْلِ، و(اللّه) مِنْ أسْماءِ الذّاتِ، وأسْماءُ الذّاتِ أشْرَفُ مِنْ أسْماءِ الفِعْلِ، وجَوابُهُ: أنَّهُ أمَرَ بالعِبادَةِ، وبِصفاتِ الذّاتِ، وهوَ لا يَسْتَوْجِبُ شَيْئًا، وإنَّما يَسْتَوْجِبُ العِبادَةَ بصفاتِ الفِعْلِ، فكانَ ذَلِكَ أبْلَغَ في الحَثِّ عَلَى الطّاعَةِ، ولِأنَّ هَذِهِ السّورَةَ كانَتْ مِنْ أوائِلِ ما نَزَلَ عَلَى ما كانَ الرَّسولُ ﷺ قَدْ فزِعَ؛ فاسْتَمالَهُ ليَزولَ الفَزَعُ، فقال: هوَ الَّذي رَبّاكَ فكَيْفَ يُفْزِعُكَ؟"[3]، في حين علّل المظهريّ ذلك العدولَ بقوله: "لأنّ (اللّه) علَمٌ لذاتِ الواجب، ولا بسبيلٍ إلى معرفةِ الذّاتِ إلّا بالتَّفكُّرِ في الآثار والصّفات، وأظهرُ الصّفات بالنِّسبة إلينا صفةُ الخَلْقِ والتَّربية"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 216.
(4) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 302.

استشراف معاني القراءة بإضافة الرُّبوبيَّة للنَّبيِّ ﷺ:

جاء التَّقييد بقوله تعالى: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، ومضافًا إلى ضمير مخاطبته ﷺ للتَّعريض بالأربابِ الباطلةِ للمُشركين، وتلك المعاني يتحدّدُ بها الاسمُ المُستعان بذِكرِهِ عندَ القراءة، فيكون اسمًا دالًّا على الرَّبِّ الحقيقيِّ، وهو اللّه تعالى، قال ابنُ عاشور: "إضافَتُهُ إلَى ضَميرِ النَّبيءِ ﷺ مؤذِنةٌ بأنَّهُ المُنفَرِدُ برُبوبيَّتِهِ عِنْدَهُ؛ رَدًّا عَلَى الَّذينَ جَعَلوا لِأَنْفُسِهِمْ أرْبابًا مَنْ دونِ اللّه، فكانَتْ هَذِهِ الآيَةُ أصْلًا لِلتَّوْحيدِ في الإسْلامِ"[1].

إبطالُ كلِّ قراءة لا تكون باسم الله تعالى، وهو أصل التَّوحيد

دلالةُ الإضافتَينِ في ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾:

أضافَ النَّظمُ الكريم لفظَ (اسم) إلى (الرَّبّ)، وأضافَ (الرَّبّ) إلى ضمير المُخاطَب (الكاف) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ للدّلالة بالإضافةِ الأولى على التَّعيينِ والتَّعريف، إذِ الاسمُ لا يتعيّنُ المرادُ به إلّا بعدَ إضافتِهِ، ولمّا كانتْ إضافتُهُ إلى (الرَّبّ) لا يُحقِّقُ التَّعيينَ أضافَ لفظَ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ المخاطَب، فتكونُ الإضافة الثّانيةُ دالّةً على تعيينِ المَقصود بالمُضاف الأوَّل، وتُفيدُ الإضافةُ الثّانية كونَه ربَّ الرَّسول الأكرم؛ ليتميّزَ عن أربابِ المُشركينَ الباطلة، فتكونُ الإضافة دالّةً على تكريم الرَّسولِ ﷺ وأنَّ ربَّهُ هو الرَّبُّ الحقيقيُّ الصّادق، قال الهرريّ: "وجاءَ الخطابُ؛ ليدلَّ على الاختصاصِ والتّأنيس؛ أي: ليس لك ربٌّ غيرُهُ"[2].

الاستعانةُ بالاسمِ الكريم لأنَّه لربِّك العَظيم

نُكْتَةُ النّعتِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾:

نعتَ النَّظمُ الكريم بالاسمِ الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ للدّلالة على الإبهامِ المشوِّق لسَماعِ بيانِهِ وتفصيله، وذلك أدعَى للإصغاءِ إلى الكلام، خاصّةً بعدَ أنْ

تشويقُ النَّبيِّ المُختار لمعرفةِ خصائصِ الرَّبِّ الجبّار

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 151.

عرّفَ ذاتَهُ بأنَّه ربُّ المُخاطَب، وذلك غيرُ معهودٍ له بعدُ، ولذا قالَ المُظهريّ: "﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ صفةٌ موضّحةٌ للرَّبِّ؛ فإنَّ نعت الرّبوبيّة يقتضي الخَلقَ والتّربيةَ منَ النُّقصانِ إلى الكمال"[1]؛ فأرادَ تعيينَ وجهِ رُبوبيّتِهِ له من خلال وصفِ ذاتِهِ بوصفٍ مختصٍّ به لا يُشارِكُهُ في ذلك الفعلِ أحدٌ.

قال الهرريّ: "وصفَ الرَّبَّ به؛ لتذكيرِ أوّلِ النَّعماء الفائضةِ عليه منهُ تعالى، والتّنبيهِ على أنَّ مَن قدَرَ على خلقِ الإنسان على ما هو عليهِ من الحياة، وما يَتبعُها من الكمالاتِ العِلميَّة والعمليَّة من مادّةٍ لم تَشُمَّ رائحةَ الحياة فضلًا من سائرِ الكمالات، قادرٌ على تعليمِ القراءة للحيِّ العالمِ المتكلِّم"[2]، كأنَّه قيل: "اقرأْ باسمِ ربِّك لتربيتِك آنًا فآنًا، ولتبليغِكَ إلَى الكَمال شَيْئًا فشَيْئًا، حتَّى تستعدَّ لأنْ يوحَى إليك الَّذي هوَ الغايةُ القُصوى في التَّرْبيَة"[3].

مَن يكونُ قادِرًا على الخَلْق فهو الإلهُ بحقّ

سرُّ اختيارِ جملةِ الصِّلة ﴿خَلَقَ﴾:

اختارَ النّظمُ الكريمُ بيانَ إبهامِ الموصولِ بجملةِ الصّلة الواردةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ وهي جملةٌ فعليّةٌ ماضيةٌ دالّةٌ على وقوعِ الفعلِ فيها وُقوعًا لا سبيلَ لرفضِهِ أو ردِّهِ، وعلّلَ القونويّ التَّعبيرَ بالماضي مع أنَّ بعضَ الخلقِ في المُستقبل بقولِهِ: "وصيغةُ المُضيِّ للتَّغْليب، أوْ لجعلِ مُنتظَرِ الوقوعِ كالواقِعِ"[4]، وتفيدُ جملةُ الصِّلة التَّعليلَ لكونِهِ الرَّبَّ الحقيقيَّ المتميّزَ عن الأربابِ الباطلة؛ بأنّه المختصُّ بالخالقيَّة، وما عداهُ لا يخلُقُ شيئًا.

قال مجير الدين الحنبليّ: "ولمّا ذكرَ الرَّبَّ، وكانتِ العربُ في الجاهليَّة تُسمّي الأصنامَ أربابًا، جاءَ بالصِّفة الّتي لا شركةَ للأصنامِ

(1) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 302.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 151.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 347.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 347.

فيها، وهي قولُه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾"[1]، فيكونُ بمثابةِ التَّعليلِ لكونِهِ الرَّبَّ الحقيقيَّ، وللإقبالِ عندَ القراءةِ إلى ذِكرِ اسمِهِ دونَ بقيّةِ الأسماءِ المتوهَّمِ ربوبيّتُها كَذِبًا وزورًا، معَ أنَّها لا تخلُقُ شَيئًا.

قال ابنُ عاشور: "وَجيءَ في وصْفِ (الرَّبِّ) بطَريقِ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ لِأنَّ في ذَلكَ اسْتِدْلالًا عَلَى انْفرادِ اللّه بالإلَهيَّة؛ لِأنَّ هَذا القُرْآنَ سَيُتْلَى عَلَى المُشْركينَ؛ ولِما تُفيدُهُ المَوْصوليَّةُ من الإيماءِ إلى عِلَّةِ الخَبَرِ، وإذا كانَتْ عِلَّةُ الإقْبالِ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ الرَّبِّ هيَ أنَّهُ خالِقٌ دَلَّ ذَلكَ عَلَى بُطْلانِ الإقْبالِ عَلَى ذِكْرِ غَيْرِهِ الَّذي لَيْسَ بخالِقٍ، فالمُشْركونَ كانوا يُقْبِلونَ عَلَى اسْمِ (اللّاتِ) واسْمِ (العُزَّى)، وكَوْنُ اللّه هوَ الخالِقَ يَعْتَرِفونَ بِهِ، قالَ تَعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: 25]، فلَمّا كانَ المَقامُ مقامَ ابْتِداءِ كتابِ الإسْلامِ دينِ التَّوْحيدِ، كانَ مُقْتَضيًا لِذِكْرِ أدَلِّ الأوْصافِ عَلَى وحْدانيَّتِهِ"[2].

دلالةُ حذفِ المتعلّقِ لجملةِ الصِّلة:

عندَ التّعريفِ للمفهوم يكونُ البَدءُ بالعُموم

حذفَ النّظمُ الكريم مُتعلّق فعلِ (الخَلْق) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ إمّا لكونِهِ مُنزَّلًا منزلةَ اللّازم، أوْ لإرادةِ العمومِ بخلقِ كلِّ شيء، أوْ خصوصِ الإنسان، وترك ذكرَهُ اعتمادًا على ما يأتي بعده، قالَ ابنُ عاشور: "وَعَدَمُ ذِكْرِ مَفْعولٍ لِفِعْلِ ﴿خَلَقَ﴾ يَجوزُ أنْ يَكونَ لِتَنْزيلِ الفِعْلِ مَنْزِلَةَ اللّازِمِ، أي: الَّذي هوَ الخالِقُ، وأن يكونَ حَذْفُ المَفْعولِ لِإرادَةِ العُمومِ، أي: خَلَقَ كُلَّ المَخْلوقاتِ، وأن يَكونَ تَقْديرُهُ: الَّذي خَلَقَ الإنْسانَ؛ اعْتِمادًا عَلَى ما يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾"[3]، ورَجَّحَ القونويّ أنّ الفعل نُزِّلَ منزلةَ اللّازم، فقال: "﴿خَلَقَ﴾ نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ إذ هوَ يفيدُ العُمومَ معَ اختصار"[4].

(1) مجير الدين الحنبلي، فتح الرحمن: 7/ 399.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 435.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 436.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 347.

والَّذي يترجَّحُ لدينا إرادةُ العُموم بأنَّه خالقُ كلِّ شيء، ثمَّ خصَّصَ خلقَ الإنسان؛ إذ المقامُ تعريفُ الرَّبِّ الحقيقيِّ للمخاطَبِ، وعندَ التَّعريف يُبدأُ بالعموم وصولًا إلى الخصوص، فذَكَر أوَّلًا أنَّه خالقُ كلِّ شيء، ثمَّ خصَّص خلقَهُ بالإنسان، لأنَّه أعلى سائرِ المَخلوقات، فقد خلقَه في أحسنِ تقويمٍ، وأرشده إلى القراءةِ والكتابة، وعلَّمَه ما لم يكن يعلمُ، بما وضعَ في فطرتِهِ من استعدادٍ للنَّظر والفكر، فكيفَ يعبُدُ معهُ ربًّا لا يخلُقُ شيئًا؟.

دلالةُ الفصلِ في جملةِ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾:

التَّوكيدُ والتَّقرير على وصفِ الخَلْقِ المُثير

فصلَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الواردةَ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾؛ إمّا لكونِها مُبدلةً ممّا قبلَها؛ أوْ بيانًا له، وقد فصّلَ ابنُ عاشور توجيهَ (البدليّة والبيانيّة) تفصيلًا دقيقًا بقولِهِ: "وَجُمْلَةُ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ يَجوزُ أنْ تَكونَ بَدَلًا مِنْ جُمْلَةِ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ بَدَلَ مُفَصَّلٍ مِنْ مُجْمَلٍ؛ إنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعولٌ، أوْ بَدَلَ بَعْضٍ إنْ قُدِّرَ لَهُ مَفْعولٌ عامٌّ، وسُلِكَ طَرِيقُ الإبْدالِ؛ لِما فيهِ مِنَ الإجْمالِ ابْتِداءً؛ لِإقامَةِ الاسْتِدْلالِ عَلَى افْتِقارِ المَخْلوقاتِ كُلِّها إلَيْهِ تعالى؛ لِأنَّ المَقامَ مَقامُ الشُّروعِ في تَأْسيسِ دِيْنِ الإسْلامِ؛ ففي الإجْمالِ إحْضارٌ لِلدَّليلِ مَعَ الاخْتِصارِ، مَعَ ما فيهِ مِنْ إفادَةِ التَّعْميمِ، ثُمَّ يَكونُ التَّفْصيلُ بَعْدَ ذَلِكَ لِزيادَةِ تَقْريرِ الدَّليلِ، ويَجوزُ أنْ تَكونَ بَيانًا مِنَ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ إذا قُدِّرَ لِفِعْلِ ﴿خَلَقَ﴾ الأوَّلِ مَفْعولٌ دَلَّ عَلَيْهِ بَيانُهُ، فيَكونُ تَقْديرُ الكَلامِ: (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ)"[1]، ورجّحَ المظهريُّ الأخيرَ بقوله: "الظّاهر أنَّه جملةٌ مستأنفةٌ؛ كأنَّه في جوابِ سؤال: ما خلقَ؟"[2]، وفصّلَ الهرريّ المرادَ بقولِهِ: "وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾؛ أي: بني آدم، تخصيصٌ لخلقِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 436.
(2) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 302.

الإنسانِ بالذِّكر من بين سائرِ المخلوقات؛ لاستقلالِهِ ببدائعِ الصُّنع والتَّدبيرِ على القول بأنَّ ﴿خَلَقَ﴾ الأوّلَ لازمٌ، بمعنى: اتَّصف بالخَلقِ واستأثرَ به، وأمّا على القول بأنّ ﴿خَلَقَ﴾ الأوّلَ متعدٍّ حُذِفَ مفعولُهُ، فهو تخصيصٌ لخلقِ الإنسانِ بالذِّكر والبيان بعدَ التّعميم؛ تفخيمًا لشأنِه؛ إذ هو أشرَفُهم، وعليهِ نزلَ التَّنزيلُ، وهو المأمورُ بالقراءة، ويجوزُ أنْ يُراد بالفعلِ الأوّل أيضًا خلقَ الإنسانَ، ويُقصَدَ بتجريدِهِ عن المفعولِ الإبهامُ، ثمَّ التَّفسيرُ؛ رومًا لتفخيمِ شأنِه"[1].

نُكْتةُ تكرارِ فعلِ (الخلقِ):

التَّقريرُ والتَّوكيد وراءَ إعـــادةِ الوَصف المَجيد

كرّرَ النَّظمُ الكريم فعلَ (الخَلق) ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾؛ لتقريرِ صفةِ الخَلق الّتي استأثرَ بها الرَّبُّ الحقيقيُّ عن سائرِ الأرباب الباطِلة، وتوكيدِ أنَّه الخالق المتفرِّدُ بخلقِ كلِّ شيء أوَّلًا، ثمَّ المتفرّدُ بخَلقِ الإنسان المخاطَب بالتَّكاليف ثانيًا، وتقريرًا لخلقِ الإنسان الّذي دخلَ تحتَ العمومِ ثمَّ ذُكِر مرّةً أُخرى بخصوصِه؛ لأنَّه المخاطَبُ بالاعتراف والإقبالِ على الرَّبِّ؛ فيكون في ذِكرِ خَلْقِهِ مزيدُ تميُّزٍ عن سائر المخلوقات. ولا يبعُدُ أن يكون المرادُ بالخَلْقِ الأوّل أنَّه خلقَ كلَّ المخلوقات مُسخّرةً للإنسان، ثمّ نبَّه على خلقِ الإنسان من علَق؛ جَمْعًا بينَ الامتنانِ والاستدلالِ، وتعليلًا لطلبِ الإقبال على الرَّبِّ الحقيقيِّ عند القيام بسائرِ الأعمال، وقال الهرريّ: "إنَّ الحكيمَ ﷻ لو قالَ له حينَ أرادَ أنْ يبعثَهُ رسولًا إلى المشركين: (اقرأ باسم ربِّك الَّذي لا شريك له) لأبَوا أنْ يَقبلوا ذلك منه، لكنَّه تعالى قدَّم في ذلك مقدّمةً تُلجِئُهم إلى الاعترافِ به؛ حيثُ أمرَ رسولَهُ أنْ يقولَ لهم: إنَّهم هم الّذين خُلِقوا من العَلقةِ، ولا يُمكِنُهم إنكارُه، ثمَّ أن يقول لهم: لا بدَّ للفعلِ من فاعلٍ، فلا يُمكنهم أنْ يُضيفوا ذلك الفعلَ إلى الوَثن؛ لعلمِهم بأنَّهم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 153.

نَحتوهُ، فبهذا التَّدريجِ يُقرِّون بأنّي أنا المُستحِقُّ للثَّناءِ دونَ الأوثان؛ لأنَّ الإلهيَّةَ موقوفةٌ على الخالقيَّة، ومَن لم يخلقْ شيئًا كيفَ يكون إلهًا مُستحِقًّا للعبادةِ"[1].

دلالةُ تقييدِ فعلِ الخَلقِ الثّاني بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾:

براهينُ الواحدِ الدَّيّان ثابتةٌ في خَلقِ الإنسان

خصّ النَّظمُ الكريمُ فعلَ (الخَلقِ) في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ بالإنسانِ دونَ "بَقيَّةِ المَخلوقاتِ؛ لأنَّهُ المُطَّرِدُ في مَقامِ الاستِدلالِ؛ إذْ لا يَغْفُلُ أحَدٌ مِنَ النّاسِ عَنْ نَفْسِهِ، ولا يَخْلو مِنْ أنْ يَخْطُرَ لَهُ خاطِرُ البَحْثِ عَنِ الَّذي خَلَقَهُ وأوْجَدَهُ، وفيهِ تَعْريضٌ بتَحْميقِ المُشْرِكينَ الَّذينَ ضَلّوا عَنْ تَوْحيدِ اللّه تَعالَى، مَعَ أنَّ دَليلَ الوَحْدانيَّةِ قائِمٌ في أنْفُسِهِمْ"[2]، وقال الطّيبيُّ: "إنَّما علَّل تخصيصَ الإنسانِ بالذّكر بقوله: "لأنَّ التَّنزيلَ إليه"؛ لأنَّ الأمرَ بقراءةِ المُنزَل مترتِّبٌ على وصفِ اللّه ﷻ بخَلقِ الأشياء، ثمَّ تخصيصُ خَلقِ الإنسان؛ وذلك لأنَّه هو المشرَّفُ بأنَّ التَّنزيلَ إليهِ"[3].

دلالةُ التّعريف بـ(أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾:

التَّعريضُ والاستدلال ردعٌ لأهلِ الضَّلال

عرّفَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾؛ للدّلالة به على الجنسِ المُفيد للصِّدق الكلّيِّ والاستغراقِ الشُّموليِّ لجميعِ أفرادِ الإنسان، وفي ذلك كمالُ الامتنانِ والإنعام، وما ينبغي أنْ يفعلَهُ هذا المخلوق إزاءَ الخالق، والتَّعريضُ بالكفّار الَّذين تغافَلوا عن عظيمِ صُنعِ اللّه فدَعَوا لهُ أربابًا، وجَعَلوا له شُرَكاءَ لا يخلُقونَ شيئًا.

دلالةُ ﴿مِنۡ﴾ الجارّة والغرضُ منها:

بيانُ أصلِ الإنسان ليتدبَّرَ في صَنعةِ الأكوان

عبّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ ﴿مِنۡ﴾ الجارَّة في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 154.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 436.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 511.

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾؛ للدّلالة بها على الابتداءِ لخَلْقِ الإنسان، وبيانِ أصلِهِ الضَّعيف معَ الصَّنعةِ المُحكَمة للقادرِ الجليل؛ ومَن تأمَّل في المبدأِ اعتقدَ بالقدرةِ العظيمة ولم يَغفَلْ، وآمنَ بالنّشر والبعث ولم يهلْ؛ لأنَّ مَن خلق الإنسان من هذا الأصلِ لهو قادرٌ على أنْ يُعيدَه للحسابِ والنّشرِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى عقيدةِ الإيمانِ باليوم الآخِر في أوَّل سورةٍ نزلتْ من القرآنِ الكريم، مع بيانِ أنَّه الرَّبُّ الخالقُ القادرُ.

قال ابن عاشور: "وفي قَوْلِهِ: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ إشارَةٌ إلَى ما يَنْطَوي في أصْلِ خَلْقِ الإنْسانِ مِنْ بَديعِ الأطْوارِ والصِّفاتِ الَّتي جَعَلَتْهُ سُلْطانَ هَذا العالَمِ الأرْضيِّ، وفيهِ إشارَةٌ إلَى أنَّ خَلْقَ الإنْسانِ مَنْ عَلَقٍ، ثُمَّ مَصيرَهُ إلَى كَمالٍ أشُدِّهِ هوَ خَلْقٌ يَنْطَوي عَلَى قوًى كامِنَةٍ وقابِلِيّاتٍ عَظيمَةٍ، أقْصاها قابِلِيَّةُ العِلْمِ والكِتابَةِ، ومَعْنَى حَرْفِ (مِنْ) الابْتِداءُ"[1].

نُكْتةُ التَّنكيرِ في ﴿عَلَقٍ﴾:

نَكَّر النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿عَلَقٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾؛ للدّلالةِ على التَّعظيمِ والتَّفخيمِ بقرينةِ السّياق؛ إذ المقامُ للتَّذكيرِ بأصلِ الإنسانِ، والاستدلالِ على عظمةِ الخالق وإحكامِ الخَلْق، فكان التَّعظيمُ والتَّفخيمُ لأصلِ الإنسان دافعينِ له لإدراكِ عظيمِ صنعِ الله تعالى، فيُقبلُ على دُعائِهِ والقراءةِ باسمِهِ العَظيم.

التَّفخيمُ والتّعظيم دافعانِ للتَّفكيرِ في الصّانعِ الحَكيم

دلالةُ الاستعارةِ في ﴿عَلَقٍ﴾:

استعارَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿عَلَقٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ للدّمِ الغليظِ الجامد، إذ شبّهَه بدودٍ يُسمَّى (العلَق)، ثمَّ حذفَ المُشبَّه وأبقى المشبَّه به على سبيلِ الاستعارة التَّصريحيَّة، قال ابنُ عاشور: "والعلق: "اسْمُ جَمْعِ عَلَقَةٍ، وهيَ قِطْعَةٌ قَدْرَ الأُنْمُلَةِ

التَّشبيهُ بالأحياءِ الدّقيقة لإضفاءِ صفةِ الحَياة الخفيَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 438.

مِنَ الدَّمِ الغَليظِ الجامِدِ الباقي رَطْبًا لَمْ يَجِفَّ، سُمّيَ بذَلِكَ تَشْبيهًا لَها بدودَةٍ صَغيرَةٍ تُسَمَّى عَلَقَةً، وهيَ حَمْراءُ داكِنَةٌ تَكونُ في المياهِ الحُلْوَةِ، تَمْتَصُّ الدَّمَ مِنَ الحَيَوانِ إذا عَلِقَ خُرْطومُها بجِلْدِهِ، وقَدْ تَدْخُلُ إلَى فمِ الدّابَّةِ وخاصَّةً الخَيْلَ والبِغالَ، فتَعْلَقُ بلَهاتِهِ ولا يَتَفَطَّنُ لَهَ"[1]، والغرضُ من الاستعارةِ إضفاءُ صفةِ الحياةِ للعلَقة السّابحةِ في الرّحم، فهي ليست قطعةَ دمٍ بلا حَياة، بل ذاتُ روحٍ حيوانيّة؛ فيكونُ في الاستعارة إشارةٌ إلى إعجازٍ علميّ، وهي أنَّ تلك العلقة حيّةٌ نابضة.

نُكتةُ استعمالِ اسمِ الجمْع ﴿عَلَقٍ﴾:

عبّر النّظمُ الكريم باسمِ الجَمْع أوْ باسمِ الجنسِ الجمعيِّ ﴿عَلَقٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ولم يقُلْ (من علقة)؛ لأنَّ الحديث عن خلقِ (الإنسان) على سبيل الاستغراقِ الكلّيِّ، فيكون من مُناسباته إرادةُ الجمعيّةِ الصّادقة بأنَّ كلَّ فردٍ من أفراد الإنسان مخلوقٌ من علقةٍ على سبيلِ التَّوزيعِ الإفراديِّ.

جـمـيـعُ أفـــرادِ الإنـســـان مِـن كـائنٍ لا تُـدركُـهُ العَينان

وقال النَّيسابوريُّ: "وإنَّما ذكرَ (العَلَق) بلفظِ الجَمْعِ، لأنَّه أرادَ بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجمعَ، فذهبَ بالعلَقِ إلى الجمع لمشاكلةِ رُؤوسِ الآيات"[2].

دلالةُ تكرارِ الأمرِ بالقراءةِ:

كرّرَ النَّظمُ القرآنيُّ لفظَ ﴿ٱقْرَأْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾؛ للتَّوكيدِ على أهمّيَّةِ القراءةِ وأثَرِها في بناءِ الحياة وتطوُّرِ العمرانِ وظُهورِ الحَضارات، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الدَّعوة الإسلاميّةَ دعوةٌ للعِلْم والنُّهوضِ الحضاريِّ بالإنسان إلى أعلى درجاتِ الخيريَّةِ والسُّموِّ، قال ابنُ عاشور: "وَفِعْلُ ﴿ٱقْرَأْ﴾ الثّاني

دَعـــوةُ الإسـلام للتَّعلُّم سُـمـوٌّ بالإنسان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 438.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 169.

تَوكيدٌ لِـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الأوَّلِ؛ لِلاهْتِمامِ بهَذا الأمْرِ"[1]، وحِكمةُ: "الأمرِ بالتَّكرير؛ لأنَّ القراءةَ لا تَكسِبُها النَّفسُ إلّا بالتّكرارِ والتَّعوُّدِ على ما جرَتْ بهِ العادة"[2].

دلالةُ (الواوِ)، والغرضُ منها:

الاقتدارُ والإكرام يُشعِرانِ المَرءَ بالسَّلام والأمان

عبّر النَّظمُ الكريمُ بـ(الواو) في قولِه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾؛ للدّلالة على العطفِ على الجملةِ المُستأنفةِ الأولى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ عطفَ الاسميّةِ على الفعليَّة، قال ابن عاشور: "جُمْلَةٌ مَعْطوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، فلَها حُكْمُ الاسْتِئْنافِ، ورَبُّكَ مُبْتَدَأٌ وخَبَرُهُ إمّا ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ وإمّا جُمْلَةُ: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾"[3]؛ للدّلالة على توصيفٍ آخرَ للرَّبِّ الآمرِ بالقراءةِ المَطلوبِ الإقبالُ عليه عند القراءةِ، وملاحظتُهُ في الأعمالِ بأنَّه الخالقُ والأكرمُ، فيحصُلُ تعريفانِ للرَّبِّ الحقّ؛ بأنَّه خالقُ الإنسان، وذلك دليلُ القدرة، وأنّه الأكرمُ بالتَّعليم، وذلك دليلُ الإحسان، وفي الجمعِ بينَ الاقتدارِ والإحسان يشعُرُ المَرءُ بالأمان، ففيهِ طمأنةٌ لنفسِ النَّبيِّ ﷺ الخائفةِ في الغار منَ الحدثِ العظيم، وطمأنةُ كلِّ المؤمنينَ بأنَّ ربَّهم المُقتدرَ ذو إحسانٍ مُبهِر، قال مجير الدين الحنبليّ: "ثمَّ قال على جهةِ التَّأنيس: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ الَّذي لا يلحقُهُ نقصٌ، فليس هو كهذهِ الأرباب، فهو يَنصُرُك ويُظهِرُك"[4].

دلالةُ المتضايفينِ في ﴿وَرَبُّكَ﴾:

تمييزُ الرَّبِّ الحقيقيّ بالخلقِ والإكرامِ الدّائميّ

كرّرَ النَّظمُ الكريم الإضافةَ في قولِه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾؛ للدّلالة على تمييزِ الرَّبِّ الحقيقيّ عن الأربابِ الباطلة، وأنَّ الّذي يُخاطِبُك في الغارِ ويطلبُ منك القراءةَ باسمِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 438.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 154.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 440.
(4) مجير الدين الحنبلي، فتح الرحمن: 7/ 399.

هو الخالقُ للإنسانِ، الكريمُ بتعليمِهِ الكتابةَ ووسيلتَها، وأنَّه المنعِمُ عليه بتعليمِ ما لم يكنْ يعلمُهُ، وإنَّما أعادَ قبلَهُ الأمر بالقراءةِ؛ للدّلالة على أنَّ الجارَّ والمجرورَ في ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الثّانية، وأنَّها جاءتْ للجوابِ بتحديدِ الجهةِ الآمرةِ طمأنةً للنَّبيِّ الأكرم بأنَّ المُخاطِبَ له هو الرَّبُّ الخالقُ والأكرم، فلا تخَفْ، بلِ اقرأ متوكِّلًا على القادرِ الأكرم، فيُلهمَكَ بقدرته ما تقرأ، ويُعلِّمَكَ ما تتلو عليهم من الآيات، كما تحملُ الإضافة إلى ضميرِ المخاطب التَّشريفَ والتَّكريمَ لهذا النَّبيِّ الكريم؛ إذ أضاف ذاتَهُ الجليلة إليه مجدّدًا محبّةً وإجلالًا له.

بلاغةُ الإعجازِ للنّظمِ التَّركيبيِّ:

دلالاتُ التّوازي والالتقاء دالّةٌ على الإتقانِ في البِناء

في قولِهِ تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ﴾ .... ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ نلحظُ توازيًا تركيبيًّا وبناءً نَظْميًّا مُعجزًا؛ إذ لمّا كرَّر النَّظمُ الأمرَ بالقراءة، كرّرَ معه التَّعريفَ للآمرِ بالقراءةِ بأنَّه (ربُّك)، وذكرَ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الأولى مطلقةً عن التَّقييد، ليُناظِره بـ﴿خَلَقَ﴾ الأوّل في الإطلاقِ عن التَّقييد، وذكرَ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ الثّانية مقيّدةً باسمِ الرَّبّ، فذكرَ ﴿خَلَقَ﴾ الثّانية مقيّدةً بخَلْقِ الإنسانِ؛ ليكونَ الرَّبُّ هو ربَّك وربَّ كلِّ إنسان، وذكر أنَّه خلقَ الإنسانَ من علَق، فذكرَ أنَّ تعليمَهُ الكتابةَ بالقلم؛ فكما أنَّ العلَقَ أصلُ الإنسانِ المخلوق فإنَّ القلمَ أصلُ الكتابةِ المُعلِّمة للإنسان؛ وذَكرَ أصلَ الإنسانِ من علَقٍ ثمَّ ينمو ويتطوّرُ، وذَكرَ أصلَ الكتابةِ وهو القلمُ لينموَ العِلمُ ويتطوّر، حتَّى يتعلَّم به ما لم يكنْ يعلَم، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّه تعالى مالكُ الأصول وما تفرَّع عليها، وأنَّه خالقُ الأُسس وما تطوَّرَ منها.

الاقتدارُ والإكرام عظمةٌ ورحمةٌ وإحسان

دلالةُ النّعت باسمِ التّفضيل في ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾:

نعتَ النَّظمُ الكريم لفظَ (الرَّبِّ) باسم التَّفضيل ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾؛ للدّلالة بالاسمِ

على ثبوتِ وصفِ الأكرميَّةِ له تعالى، ونلحظُ أنَّ ﴿رَبِّكَ﴾ الأوّلَ نُعِت بالاسم الموصولِ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ في حينِ نُعِت (ربّك) الثّاني باسم التَّفضيل: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾، ثمَّ جاءَ الخبرُ أو النَّعتُ الثّاني ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ وقيل: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ هو الخبرُ؛ وفائدةُ النّعتِ به الدّلالةُ على أنَّ صفةَ الخَلقِ لا يُشاركُ فيها أحدٌ المولَى تعالى، وأمّا صفةُ الكرم فهي صفةٌ مشتركةٌ في الظّاهر، وإن كانَ الكرم الحقيقيُّ مختصًّا به تعالى، "فكون (أفعلُ) عَلَى ظاهره بناءً عَلَى الظّاهر"[1]، فما الكرمُ الإنسانيُّ إلّا من آثارِ تجليّات كرمِهِ الفيّاض، قال الهرريُّ: "وهو الأكرم؛ أي: الزّائدُ في الكرَم على كلِّ كريم، فإنَّه يُنعِمُ بلا غَرَض، ولا يطلبُ مَدْحًا، وأيضًا: أنَّ كلَّ كريم إنَّما أخذَ الكرمَ منه، فكيفَ يُساوي الأصلَ"[2]، فالتَّعبيرُ باسمِ التَّفضيلِ يفيدُ تعليلَ ربوبيّته الحقّة وعنايته حتَّى علّم بالقلَم، فيكونُ من وضعِ العِلّةِ بينَ طرفَي الدَّعوى، كما أفادتْ خالقيّتُه المتفرّدةُ تعليلًا للأمرِ بالقراءةِ باسمِ ربوبيّته المُستحقّة، ولذا نجدُ في تعبيرِ ابنِ عاشور الّذي سلبَ فيه دلالةَ المُفاضلة من اسمِ التَّفضيل بُعدًا[3]، بدليل أنَّ الكواشي فسّرَ الأكرمَ بأنه: "الَّذي لا يوازيهِ كريمٌ، ولا يُعادلُهُ في الكرمِ نظيرٌ، أوْ أكرمُ بمعنى كريم"[4]؛ فقدّم المفاضلةَ على سَلْبِها.

بقي أنَّ صفة (الكرم) تدلُّ على الرّحمة والإحسان، كما أنَّ صفة الخلقِ تدلُّ على القوّةِ والاقتدار؛ ليكونَ المَولى تعالى قادرًا رحيمًا، وذلك أبعثُ للاطمئنانِ للنّفس الشَّريفة الخائفةِ في الغار، ولذا "قال الكلبيّ: يعني الحكيمُ الحليمُ عن جهلِ العباد، لا يُعجِّلُ عليهم بالعقوبة"[5].

دلالةُ التّعريفِ بـ (أل) في ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾:

عرّفَ النَّظمُ الكريم وصفَ ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ بـ (أل) في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾؛ للدّلالة بها إمّا على الاستغراقِ الشّموليّ؛ فهو تعالى أكرمُ من كلِّ كريم بحسبِ الظّاهر، وإنْ كان كلُّ كرمٍ من غيره أثرًا من آثارِ كرمِهِ العظيم، وبحرِهِ المُتدفِّق بالعَطاء، أوْ على

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 349.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 154.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 440.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 512.
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 169.

الموصولِ المُشعِر بالتَّعليلِ لثبوتِ حُكمِ تعليمِهِ للإنسان بالقلم؛ إذ تعليقُ الحكمِ بالمشتقِّ يدلُّ على عليّتِه؛ ومِن كمالِ كرمِهِ الجَزيل تعليمُ الإنسان الكتابةَ بالقلَم.

من الكرمِ الإلهيِّ العظيم تعليمُ الإنسانِ الكتابةَ باليَمين

دلالةُ النّعت أوِ الإخبارِ بالمَوصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾:

عبّرَ النَّظمُ الكريم بالاسمِ الموصولِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ للدّلالةِ به إمّا على الخبريّةِ أو النَّعتيّة الثّانية بعدَ النّعتِ بـ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾، وسواءٌ كان خبرًا أوْ نعتًا ثانيًا؛ فإنَّ الموصولَ دالٌّ على الإبهامِ المُحتاجِ إلى تفصيلِهِ وتوضيحِهِ بجُملةِ الصِّلة، فيكون من التَّشويقِ لحُكمِ الرَّبِّ الأكرم أوِ التَّشويقِ إلى نعتِ الرَّبِّ الأكرم، وذلك أجلبُ للإصغاءِ والاستماع، وفائدةُ التَّعبير به إنْ كانَ نعتًا الإيماءُ إلى وجهِ بناءِ الخبَر: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ إذ عُرِفَ من كرمِهِ العظيم ومِن تعليمِهِ بالقلم أنَّ خبرَ (الرَّبّ) حينَئذٍ من جنسِ الإكرام، والخيرِ المدودِ من الكريمِ العظيم.

الإيماءُ إلى وجْهِ الخبرِ تبشيرٌ لأهلِ النّظَر

دلالةُ الفعلِ ﴿عَلَّمَ﴾ مادّةً وصيغةً:

عبّر النَّظمُ الكريم بفعلِ (التّعليم) ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ للدّلالة بمادّته على تزويد الإنسانِ بقدراتِ التَّعلُّم على الكتابة؛ بما وضعَهُ فيه من استعداداتٍ وملَكاتٍ فطريّة، وما ألهمَهُ إيّاه أثناءَ سعيِهِ لامتلاكِ القدرةِ على تسجيلِ ما يتكلّمُ به، حتَّى هداهُ إلى التَّفكيرِ بالآلة الكاتبة، ونقشِ الرّموز الّتي اختارها، حتَّى لا تتداخلَ في نقشِها مع الأصواتِ الدّالّة عليها، وعلّمَهُ كيف يجمَعُها في نظامٍ كتابيٍّ متواصلٍ يُرْمَزُ به للكلمات وما تحملُهُ من معانٍ وتصوّرات، وذلك كرمٌ كبيرٌ ونعمةٌ عظيمةٌ لا يمكنُ إحصاءُ فوائدها وكيفيّةُ الوصولِ إليها، وللدّلالة بصيغتِهِ الماضيةِ معَ التَّضعيف على حصولِ ذلك التَّعليم على سبيلِ التَّدرُّج والارتقاء في نظام كتابتِهِ، حتَّى ارتقى واهتدى إلى الصّورةِ الحاليَّة؛ كما يدلُّ على التَّقويةِ

تعليمُ اللهِ للكتابةِ بالإقدارِ والإلهامِ بلا موارَبة

والتَّوكيد لتعليمِهِ حتَّى لا يَشُكّ شاكٌّ في طريقةِ تعليمِهِ وإيصالِهِ إلى ذلك العِلْم.

دلالةُ جملةِ الصِّلة الفعليَّة ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾:

الاهتداءُ للأقلام عـلّـةٌ لتعليمِ الأجيال

عبّرَ النَّظمُ الكريم بالجملةِ الفعليَّة الماضية صلةً للموصولِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ للدّلالة بها على توضيحِ الموصولِ المُبهَم؛ إزالةً للبُهمة عنه، كما أفادَتْ حالَ كونِها نعتًا للرَّبِّ التَّعليلَ لأكرميّته وتعليمِهِ للإنسان ما لم يكن يعلَم؛ إذِ التَّعليمُ بالقلَم والتَّسجيلُ والتَّدوينُ للمعلوماتِ يلزمُ منه تراكمُ المعارف حتَّى يستطيعَ المتأخِّرُ تطويرَ العِلْم وتنميتَهُ من جيلٍ لجيل، فعلَّم الإنسانَ الَّذي يعيش في الجيلِ اللّاحق ما يكن يعلمُهُ الإنسانُ في الجيلِ السّابق الّذي دوّنَ المعلوماتِ البسيطةَ بالقلم وطوَّرَها مَن جاء بعدَه، كما نبّه ابنُ عاشور إلى فائدةٍ جليلة في تخصيص هذه الصِّلة بالذّكر بقوله: "وتَخْصيصُ هَذِهِ الصِّلَةِ بالذِّكْرِ وجَعْلِها مُعْتَرِضَةً بَيْنَ المُبْتَدَأ والخَبَرِ؛ لِلْإيماءِ إلَى إزالَةِ ما خَطَرَ ببالِ النَّبيءِ ﷺ مِنْ تَعَذُّرِ القِراءَةِ عَلَيْهِ؛ لِأنَّهُ لا يَعْلَمُ الكِتابَةَ؛ فكَيْفَ القِراءَةُ إذْ قالَ لِلْمَلَكِ: «ما أنا بقارِئٍ» ثَلاثَ مَرّاتٍ؛ لِأنَّ قَوْلَهُ: «ما أنا بقارِئٍ» اعْتِذارٌ عَنْ تَعَذُّرِ امْتِثالِ أمْرِهِ بقَوْلِهِ: ﴿ٱقْرَأْ﴾؛ فالمَعْنَى أنَّ الَّذي عَلَّمَ النّاسَ الكِتابَةَ بالقَلَمِ والقِراءَةَ قادِرٌ عَلَى أنْ يُعَلِّمَكَ القِراءَةَ وأنْتَ لا تَعْلَمُ الكِتابَةَ"[1]، بل لمّا أُمِرَ ﷺ بالقراءةِ جاشَ في نفسه خاطرٌ عن الآمرِ بالقراءةِ فأخبرَهُ عن المصدرِ وعن المَقروءِ بأنّه: (ربُّك الّذي خلقَ الإنسانَ من علَق)، فنشأ سؤالٌ؛ وكيفَ أقرأ بعدَ معرفةِ المصدر بأنَّه الخالقُ؛ فأخبرَهُ أنَّه الأكرم الَّذي علَّم بالقلم، فهو يعلّمُك ويلهمُك كما أقدر القرّاء والكُتّاب على أنْ يتعلَّموا ما لم يكونوا عالمينَ به، فتقرأ عليهم من دونِ كتابٍ أوْ معلِّمٍ ما يَعجَزونَ عنه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 440.

دلالةُ (الباءِ) والغرضُ منها:

المُرشِدُ للآلاتِ الهادي للنّافِعاتِ

عبّرَ النَّظمُ الكريم بـ(الباء) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ للدّلالة بها على السَّببيَّة والآليّة؛ أي: علّم الإنسانَ بهذه الآلة، بمعنى أقدرَهُ على معرفةِ آلة الكتابة وصناعتِها، وهَداهُ إلى تسجيلِ المعلومات وتقييدِها، فيكون القلَمُ سببًا للتَّعليم، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ جميعَ الصّنائع قد اهتدى إليها الإنسانُ بالإقدارِ الإلهيّ له على ذلك؛ فعلّمَه الزِّراعةَ والصِّناعة والتجارةَ بآلاتها، قال ابن عاشور: "وَفي الآيَةِ إشارَةٌ إلَى الاهْتِمام بعِلْم الكِتابَةِ، وبِأنَّ اللّه يُريدُ أن يُكْتَبَ لِلنَّبيءِ ﷺ ما يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ؛ فمِنْ أجْلِ ذَلِكَ اتَّخَذَ النَّبيءُ ﷺ كُتّابًا لِلْوَحْيِ من مبدأ بعثتِه"[1].

دلالةُ التَّعريفِ بـ(أل) في (القلَم):

العلمُ أصلُ كُلِّ خيرٍ، والجهلُ أصلُ كُلِّ شرٍّ

عرّفَ النَّظمُ الكريم لفظَ (القلم) بـ(أل) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ للدّلالة بها على الجنسِ الصّادق بجميعِ الأقلام، بمختلفِ صورها وأشكالِها المستعملةِ في الكتابة، ليكونَ القلمُ رمزًا لكلِّ ما يُكتَبُ به، وبيانًا لأهمّيَّتِه وأثرِهِ في تحقيقِ تقدُّمِ الأُمَم، ولا يبعُدُ أنْ يكون (القلم) مُرادًا به ما قدَّره اللّه تعالى في سابقِ علمِهِ لمّا قال للقلَم: اكتب؛ فكتبَ ما هو كائنٌ وما سيكون، ويدلُّ على ذلك أنَّه لم يُحدِّد المعلَّم في هذه الجملة ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾، فيكونُ قد علّم بما قدّرَه في سابقِ علمِهِ كلَّ مخلوقٍ ما يحتاجُ إليه في حياتِهِ مهما كان هذا المخلوق؛ فيكونُ مقابلًا لتركِ فعلِ (الخلق) أوَّلًا في قوله: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ من دون تحديدِ المخلوقِ؛ ليشملَ كلَّ مخلوقٍ، ثمَّ خصَّصه بعد ذلك بخلقِ الإنسان، فتكونُ (أل) على هذا للعهدِ في (القلم) المُكَنَّى به عن علمِ اللّه تعالى، المُحيطِ بكلِّ شيءٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 441.

دلالة الكناية في لفظ (القلم):

تَداولُ المكتوبات أساسٌ لنُموِّ المَعلومات

كنَّى النَّظمُ القرآنيُّ بـ(القلم) عن (الكتابة) في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ إذِ القلمُ آلةُ الكتابة ووسيلتُها؛ فيكونُ من ذِكر المَلزوم وإرادةِ لازمِه، قال الرّازيّ: "في قَوْلِه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ وجْهان؛ أحَدُهُما: أنَّ المُرادَ مِنَ القَلَم الكِتابَةُ الَّتي تُعْرَفُ بها الأُمورُ الغائِبَةُ، وجُعِلَ القَلَمُ كِنايَةً عَنْها، والثّاني: أنَّ المُرادَ عَلَّمَ الإنْسانَ الكِتابَةَ بالقَلَم، وكِلا القَوْلَيْنِ مُتَقارِبٌ، إذِ المُرادُ التَّنْبيهُ عَلَى فضيلَةِ الكِتابَةِ"[1]، فمعنى ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ علّم الكتابةَ والمقيَّداتِ وما كُتِبَ من معلوماتٍ بواسطةِ القلَم؛ وفي ذلك إشارةٌ إلى أهمّيَّةِ القلم وأثرِ الكتابة في تطويرِ المعارفِ والعُلوم، قال الطّيبيّ في ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾: "توطئةُ إدماجٍ، وتنبيهٌ على فضلِ علمِ الكِتابة"[2].

دلالةُ حذفِ المتعلَّقِ بالفعلِ ﴿عَلَّمَ﴾:

جميعُ المخلوقات موضوعٌ فيها المَعلومات

حذفَ النَّظمُ الكريمُ مفعولَ الفعلِ ﴿عَلَّمَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ إمّا لتنزيلِهِ الفعلَ المتعدّي منزلةَ اللّازم؛ ليكونَ التَّركيزُ على العِلْم في ذاته مع غضِّ النّظم عن المُعلَّم، وإمّا لأنَّه حذفَ مفعولَهُ فيحتملُ أن يُراد به العمومُ، وهو ما نُرجِّحُهُ؛ إذِ المولى تعالى علَّمَ جميعَ المخلوقات كُلًّا على حسبِ ما يحتاجُ إليه ليعيشَ به، ولا يبعُدُ تعليمُ الجمادات بمعنى جَعْلِها مسيَّرة ومسخَّرةً على حسبِ نظامٍ ثابتٍ ونواميسَ محدّدة، أوْ أراد به خصوصَ الإنسان؛ ليكونَ ما بعدَهُ بيانًا له وتقريرًا لإرادتِهِ، "قال أبو إسحاق الزّجّاج: أي: علّمَ الإنسانَ الكتابةَ بالقلم"[3].

دلالةُ فصلِ جملةِ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾:

أساسُ تطوُّرِ العلوم تدوينُها مع تفاوت الفُهوم

فصلَ النَّظمُ الكريم الجملةَ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 218.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 512.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 170.

يَعْلَمْ﴾ عمّا قبلها؛ لكونها بيانًا وكشفًا لها؛ إذْ نشأ من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ سؤالٌ مُفادُهُ: كيف يكون القلمُ أداةً لتعليم الإنسانِ وتقدُّمِه ونهضتِهِ المستمرّة؟ فأجابَ: بأنَّه بالقلم يعلمُ الإنسانُ في الجيلِ اللّاحق ما لم يكنْ يعلمُهُ الإنسانُ في الجيل السّابق؛ إذ تقييدُ المعلومات بالكتابِ يستدعي تنميةً لها بين الأجيال، فيتعلّمُ الحاضرُ ما لم يكن يعلمُهُ السّابقُ، وفي ذلك إشارةٌ إلى تطوُّرِ العلوم والمعارف، وهو إخبارٌ عن أمرٍ غيبيٍّ مستقبليٍّ، وقد أبعدَ ابنُ عاشور في تعليلِ الفصل بقوله: "وهَذا الاسْتِئْنافُ بَيانيٌّ، فإذا نَظَرْتَ إلَى الآيَةِ مُسْتَقِلَّةً عَمّا تَضَمَّنَهُ حَديثُ عائِشَةَ في وصْفِ سَبَبِ نُزولِها، كانَ الاسْتِئْنافُ ناشِئًا عَنْ سُؤالٍ يَجيشُ في خاطِرِ الرَّسولِ ﷺ أنْ يَقولَ: كَيْفَ أقْرَأُ وأنا لا أُحْسِنُ القِراءَةَ والكِتابَةَ؟ فأُجيبُ بأنَّ الَّذي عَلَّمَ القِراءَةَ بواسِطَةِ القَلَمِ، أي: بواسِطَةِ الكِتابَةِ يُعَلِّمُكَ ما لَمْ تَعْلَم، وإذا قَرَنْتَ بَيْنَ الآيَةِ وبَيْنَ الحَديثِ المَذْكورِ كانَ الاسْتِئْنافُ جَوابًا عَنْ قَوْلِهِ لِجِبْريلَ: «ما أنا بقارِئٍ»؛ فالمَعْنَى: لا عَجَبَ في أنْ تَقْرَأَ وإنْ لَمْ تَكُن مِنْ قَبْلُ عالِمًا بالقِراءَةِ؛ إذِ العِلْمُ بالقِراءَةِ يَحْصُلُ بوَسائِلَ أُخْرَى، مِثْلُ (الإمْلاءِ والتَّلَقينِ والإلْهامِ)، وقَدْ عَلَّمَ اللّه آدَمَ الأسْماءَ ولَمْ يَكُنْ آدَمُ قارِئًا"[1].

دلالةُ تكرارِ فعلِ (العِلْم):

بالعِلْمِ تنهَضُ الشُّعوب وتَندفِعُ الخُطوب

كرّرَ النَّظمُ القرآنيُّ فعلَ (العِلْم) في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ للدّلالة على أهمّيَّةِ العِلْم، وأثرِهِ في حياة الإنسان، وقيمتِهِ في تطويرِ أساليب عيشِهِ في هذه الدّنيا، وصولًا بعد ذلك إلى مَعرفةِ عظمةِ الخالق ونِعمِهِ الجليلة، ومنها نعمةُ التَّعليم، قال النّيسابوريّ: "ومفعولُ قولِه: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ محذوفٌ، فلمّا ذكرَ قولَه: ﴿عَلَّمَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 440.

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ انتظمَ بقوله: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ على تقديرِ: (الَّذي علّم الإنسانَ بالقلم ما لم يعلَمْ؛ إلّا أنَّه كرّرَ ذِكرَ ﴿عَلَّمَ﴾ توكيدًا"[1]، فكما كرّرَ النَّظمُ فعلَ (القراءة)، وفعلَ (الخلق)، ولفظَ (الرَّبّ)، كرّر لفظَ (العِلْم)؛ للدّلالةِ بهذا التَّكرير على جليلِ تلك النِّعَم، وأنَّه لو فكَّر فيها لاهتدى إلى الرَّبِّ الحقيقيِّ الّذي يُنعِمُ بها، فكيف يعبدُ معه آلهةً لا تقدر على شيءٍ من ذلك؟.

دلالةُ التَّعريفِ بـ(أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾:

تتحدّدُ دلالةُ المُخاطَبين بحسبِ المرادِ من (التّعليم)

عرّفَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾؛ للدّلالة به إمّا على الجنسِ والحقيقة بغضِّ النَّظر عن أفرادِهِ، بناءً على أنّ المرادَ بالتَّعليم منحُهُ القوّةَ والقابليّةَ على التَّعلُّم، ويكونُ معناهُ معَ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ منحَه القوّةَ والقابليّة بعدَ أنْ كانت مَحجوبةً عنه؛ فلم يكن امتلاكُ هذه الخاصّيَّة على سبيل الاقتضاءِ الذّاتيّ، بل هي محضُ تفضُّلٍ ونعمة، أوْ للدّلالة به على الاستغراقِ؛ بناءً على أنّ المُراد بالتَّعليم مجرّدُ إدراكِ قواعدِ العيشِ الّتي يَكتسبُها بالمعاملةِ الاجتماعيَّة، أوْ إرادةُ بعضِ أفرادِ الجنسِ؛ بناءً على أنَّ المراد بالتَّعليم خصوصُ العلومِ والمعارفِ وأصولها وقواعدِها، ولا يبعُدُ أنْ يكونَ التَّعريفُ للعهدِ الحضوريِّ، أي: علّمَ الإنسانَ الحاضرَ في جميعِ أزمنةِ الخطاب ما لم يعلَمْهُ الإنسانُ السّابقُ عليه؛ لما يتجدّدُ من علومٍ ومعارفَ بتلاحُقِ الأزمانِ وتغايُرِ الأجيال.

نُكتةُ التَّعبير بـ ﴿مَا﴾:

العُموم والإبهام يُفيدانِ عظيمَ الامتنان

عبّرَ النَّظمُ الكريم بـ﴿مَا﴾ الموصولةِ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾؛ للدّلالة على الإبهامِ لما علّمَه من علومٍ ومعارفَ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 170.

ضروريّةٍ ونظريّة، إذ ﴿مَا﴾ تدلُّ على العموم والشُّمول؛ ففيه امتنانٌ على الإنسانِ وتعريضٌ بما ينبغي أنْ يقومَ به إزاءَ تلك النِّعَم العَظيمة، قال الطّيبيّ: "وفي ذِكرِ بَدءِ حالِ الإنسانِ وأخسِّها وهو كونه علقةً، وانتهاءُ حالِهِ وهو صيرورتُهُ عالمًا، وإيصالُهُ إلى أعلى المراتب، غايةُ الامتنان، يعني: كان ذليلًا مَهينًا، فاقتضى كرمُ الرُّبوبيَّة إلى ارتقائِهِ ذروةَ العِزِّ والشّرف بفضلِهِ ولُطفِهِ"[1].

دلالةُ ﴿لَمْ﴾ والغرضُ منها:

عبّرَ النَّظمُ الكريم بحرفِ الجزم ﴿لَمْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ للدّلالةِ بها على نفي العِلم في الماضي للإنسانِ؛ والغرضُ منها الدّلالةُ على انتفاءِ العِلمِ المُسبَق للإنسان بما يتجدّدُ له من علوم ومعارف، وفي ذلك إشارةٌ إلى طبيعةِ العلوم تطوُّرًا وارتقاءً؛ إذ تعليمُ اللّه تعالى للإنسانِ بالكتابة والقلم يُلهمُهُ تصوّرات وروابطَ لم تتحقّقْ للسّابقين، فتنمو بذلك العلومُ والمعارفُ، فهي سنّةٌ كونيّةٌ، قال ابن عاشور: "وَأَشْعَرَ قَوْلُهُ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أنَّ العِلْمَ مَسْبوقٌ بالجَهْلِ؛ فكُلُّ عِلْمٍ يَحْصُلُ فهوَ عِلْمٌ ما لَمْ يَكُنْ يُعْلَمُ مِنْ قَبْلُ، أي: فلا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ أنْ تَصيرَ عالمًا بالقُرْآنِ والشَّريعَةِ أنَّكَ لا تَعْرِفُ قِراءَةَ ما يُكْتَبُ بالقَلَمِ"[2].

تـطـوُّرُ المسائل العـلـميَّة سنّةٌ كونيّة

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ (العِلْم):

عبّرَ النّظمُ الكريم بالفعلِ المضارعِ مَنفيًّا بـ﴿لَمْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾؛ للدّلالة على انتفاءِ العلْمِ في الماضي على سبيلِ الاستمرار المتجدِّدِ في جميع الأزمنةِ الماضية، ثمَّ يحدثُ له العلمُ، أو يحدثُ للإنسان الحاضرِ من العلوم ما لم يحصلْ للإنسان السّابق، أوْ ببلوغِ الإنسانِ مراحلَ الإدراكِ والتَّفوُّق الذِّهنيّ فيتعلّمُ ما لم يكن يعلمُهُ في طفولتِهِ على سبيلِ الاستمرار.

الانتفاءُ المستمِرّ دليلُ الاحتياجِ المُفتقِر

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 512.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 441.

مَرجِعُ ضميرِ الغائبِ في ﴿يَعْلَمْ﴾:

احـتـمـالُ الكلام لدلالةِ الاستخدام

يحتملُ الضّمير الغائبُ الواردُ في قولِه تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أن يرجعَ للإنسانِ نفسِه؛ فيعلمُ كلُّ إنسان ما لم يكُن يعلمُهُ في طفولتِه، ويحتملُ إرادةَ (الاستخدام) بأن يُراد بالإنسانِ الظّاهرِ الإنسانُ الحاضر في أيِّ وقت، وأن يرادَ بضميرِ الإنسان السّابقِ له؛ لما ذكرنا من تجدُّد العلوم وتطوُّرِ المعارف، قال ابن عاشور: "وَفي ذَلِكَ اطْمِئْنانٌ لِنَفْسِ النَّبيءِ ﷺ بأنَّ عَدَمَ مَعْرِفَتِه الكِتابَةَ لا يَحولُ دونَ قِراءَتِه؛ لِأنَّ اللّه عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ، فالَّذي عَلَّمَ القِراءَةَ لِأصْحابِ المَعْرِفَةِ بالكِتابَةِ، قادِرٌ عَلَى أنْ يُعَلِّمَكَ القِراءَةَ دونَ سَبْقِ مَعْرِفَةٍ بالكِتابَةِ"[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 441.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"